أثر اتفاق أوسلو في هوية الفلسطينيين
على جانبي الخط الأخضر

محمود ميعاري*

توضح الورقة، وهي تعتمد على نتائج دراسات ميدانية، أن تراجعا نسبيا قد حدث في الهوية الفلسطينية على جانبي الخط الأخضر بعد اتفاق أوسلو وفي عهد السلطة الفلسطينية بشكل عام.

في الضفة الغربية وقطاع غزة بقيت الهوية الفلسطينية، في عهد السلطة الفلسطينية، أقوى الهويات الجماعية، إلا أن سيطرتها ضعفت نسبيا في ضوء تعزز الهويتين الإسلامية والحمائلية (العشائرية) بسبب: (1) فشل عملية السلام، وما رافق ذلك من وقف للمفاوضات مع إسرائيل وإعادة احتلال مناطق السلطة الفلسطينية في انتفاضة الأقصى ونشر مئات الحواجز العسكرية وبناء الجدار الفاصل. (2) تدهور الوضع الاقتصادي في هذه المناطق، المتمثل بازدياد البطالة، بسبب إغلاق سوق العمل في إسرائيل وضعف الاقتصاد المحلي، فالأزمات السياسية والاقتصادية كثيرا ما تدفع الشخص إلى اللجوء إلى الدين والعشيرة من أجل الحماية والراحة النفسية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن تعزز الهوية الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة تأثر أيضا بازدياد شعبية حماس، وبخاصة في انتفاضة الأقصى. كما أن تعزز الهوية العشائرية في هذه المناطق تأثر أيضا بدعم السلطة الفلسطينية لمؤسسة الحمولة والمؤسسات التقليدية الأخرى وبضعف الأحزاب الفلسطينية، وبخاصة اليسارية، وتهميشها في عملية المفاوضات مع إسرائيل.

وبالنسبة لأثر اتفاق أوسلو في هوية الفلسطينيين داخل إسرائيل، فقد أحدث الاتفاق تراجعا نسبيا في هويتهم الفلسطينية وأنعش قليلا هويتهم

---

* أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة بيرزيت.

الإسرائيلية. ففي حين أن الهوية الفلسطينية، إلى جانب الهويـة العربيـة، كانت قبيل اتفاق أوسلو أقوى الهويات الجماعية، فقد تراجعت فـي عهـد السلطة الفلسطينية وأصبح ترتيبها بعد الهوية العربية والهويـات التقليديـة (الدينية والمحلية والحمائلية). ومع أن الهوية الإسرائيلية قد انتعشت أيـضا بين الفلسطينيين داخل إسرائيل في عهد السلطة الفلسطينية، إلا أن الهويـة الفلسطينية، رغم تراجعها النسبي، بقيت أقوى منها بكثير. وكما أن اتفـاق أوسلو قد شجع دولا عربية كثيرة على التطبيع مع إسرائيل، فإنـه شـجع الكثيرين من الفلسطينيين داخل إسرائيل على محاولة الاندماج في المجتمع الإسرائيلي. فبعد أن تجاهل اتفاق أوسلو الفلسطينيين داخل إسـرائيل ولـم يشر بكلمة إلى اللاجئين في الداخل، تعزز لدى هؤلاء الفلسطينيين الشعور بالتهميش المزدوج: تهميش فـي المجتمـع الإسـرائيلي وفـي المجتمـع الفلسطيني على حد سواء. لقد أدركوا أنهم مهمـشون ومـستبعدون مـن المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية في المجتمعـين. هـذا الـشعور بالتهميش المزدوج جعل الفلسطينيين داخل إسرائيل يهتمون مؤخر بالقضايا المدنية أكثر من القضايا القومية.

ويلاحظ أيضا أن الهوية الحمائلية، والهويـات التقليديـة الأخـرى (الدينية والمحلية)، قد تعززت أيضا بين الفلسطينيين داخل إسرائيل. يبـدو أن الشعور بالتهميش المزدوج وفشل الأحزاب العربية داخل إسرائيل فـي التأثير على سياسة الحكومة الإسرائيلية تجاه المواطنين العرب قد أسـهما في تعزيز هذه الهويات التقليدية.